ـــ عدا خليج عكا وحيفا ـــ تمهيدا لنقلها الى منطقة النفوذ البريطاني . وفي صيف ١٩١٦ صد آخر هجوم تركي على القنال ثم انتقلت القوات البريطانية ـــ المسماة بالحملة المصرية ـــ من الدفاع عن القناة الى هجوم ضد الامبراطورية العثمانية ، وفي اوائل ١٩١٧ تعدت الحدود المصرية التركية السابقة في رفح واصبحت فلسطين مرة اخرى في التاريخ ارض معركة لكونها جسرا طبيعيا بين آسيا وافريقية ، ورفضت القوات البريطانية ان يشاركها في احتلال فلسطين قوات اخرى من الحلفاء(٩٤).

وقدم الاهتمام البريطاني بالحركة الصهيونية برهانا عمليا لتحقيق المطامع الصهيونية نتيجة ضرورات الحرب وكما بين هربرت صموئيل في مذكرته الى غراي في ٩ نوفمبر ١٩١٤ ان « الفرصة قد سنحت لتنفيذ أماني الشعب اليهودي واعادة انشاء دولة يهودية . واعتقد ان النفوذ البريطاني سيقوم بدور هام في تأسيس مثل هذه الدولة لان وضع فلسطين الجغرافي وقربها من مصر يجعل صداقتها لبريطانية أمرا له اهميته للامبراطورية البريطانية »(٩٥). وكتب وايزمان الى محرر المانشستر غارديان في ١٢ نوفمبر ١٩١٤ « لو ان فلسطين وضعت داخل نطاق النفوذ البريطاني ، ولو ان بريطانية شجعت الاستيطان اليهودي هناك كمحمية بريطانية فسيكون لها خلال عشرين ـــ ثلاثين سنة مليون يهودي ، ربما اكثر ، لتطوير البلد واعادة الحضارة . ويكونون حراسا فعالين لقناة السويس »(٩٦).

وبدأت في بريطانية دوائر صحفية معينة تنشر فكرة ان فلسطين كي تكون بريطانية يجب ان تكون يهودية ، وان الاستيطان الصهيوني في فلسطين سيكون له فوائد ستراتيجية وقيمة سياسية للامبراطورية البريطانية . وظهر مقال افتتاحي في المانشستر غارديان في ٢٢ نوفمبر ١٩١٥ للمحرر العسكري بالجريدة سايدبوثام يربط بين فكرة اقامة الدولة الصهيونية ومصير الحلفاء في الحرب(٩٧). وقام هذا المحرر مع اصدقائه الصهيونيين بتقديم مذكرة الى وزارة الخارجية في ربيع ١٩١٦ باثارة الدعم البريطاني للصهيونية على اساس سياسي وعسكري الى جانب الانساني ، كما ساهم في تأسيس جمعية فلسطين البريطانية التي بدأت باصدار مجلة اسبوعية باسم فلسطين تخدم المصالح الصهيونية المقترحة تحت ستار خدمة مصالح الامة البريطانية(٩٨). وظهر في صيف ١٩١٦ نتيجة مساعي صهيونيي منشستر كتاب عن الحركة الصهيونية لوضعه بين ايدي الساسة البريطانية اسمه « الصهيونية والمستقبل اليهودي » ويعزى قسم كبير من نجاحه الى النقد الذي نشره كرومر للكتاب في السبكتاتور . ومع ان كرومر لا يحاول ان يفسر بشكل محدد اهمية المسألة اليهودية للمصالح البريطانية ، الا ان الدوائر الصهيونية كان لديها سبب كبير للاعتقاد بأن لورد كرومر كان من اول السياسيين البريطانيين في تقدير الاهمية السياسية للحركة الصهيونية ولفت انظار الساسة لها كأمر عملي وملح(٩٩). ومع تقدم القوات البريطانية في فلسطين بدأت الصحافة البريطانية الموالية للصهيونية تعدد فوائد وجود اليهود في هذه المنطقة وانه « ليس على بريطانية كي تقوم بضربة سياسية موفقة عند استيلائها على فلسطين الا ان تدعو اليهود من اجل احيائها »(١٠٠). وبينت مجلة فلسطين المذكورة آنفا « ان تطلع يهود العالم نحو بريطانية انما هو لوجود بريطانية في مصر ، اذ ان دولة يهودية في فلسطين تفضل ان يكون وراء ظهرها رعايا نفس التاج الامبراطوري الذين لا يمكن بحال من الاحوال ان يتحولوا الى اعدائها»(١٠١).. لقد وصل هذا التقليد الطويل للاهتمام والعطف البريطاني ذروته بتصريح بلفور ، ونقلت منشورات المنظمة الصهيونية بعد صدور وعد بلفور رأي الصحافة البريطانية(١٠٢). فذكرت ايفننغ ستاندرد ان المصالح البريطانية كانت قد اوضحت دوما ان لا بد من قيام دولة حاجزة بين مصر وبين حكومة تركية معادية . ويظهر ان الصهيونية قدمت هذا الحل . وذكرت المانشستر غارديان « ان فلسطين لها اهميتها الخاصة بالنسبة لبريطانية لانها لو كانت بيد دولة معادية فقد تجعل ، كما دلت تجربتنا في هذه الحرب ، قاعدة ينظم منها هجوم